وظيفة الدين في الحياة

وحاجة الناس إليه

الدكتور محمد الزحيلي

منشورات
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

طبعة خاصة

حقوق الطبع محفوظة
لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية

1401 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
1991 ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخاصة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم ليكون دستوراً دائماً، وشريعة خالدة للناس أجمعين.

والصلاة والسلام على رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، الذي بيَّن شريعة القرآن: قولاً وعملاً، فكراً وتطبيقاً، وأقام المجتمع الإسلامي الأول، وربى الصحابة، كخير جيل للقرآن الكريم، فرضي الله عنهم، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً، كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تُؤْتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها، ويضربُ اللّهُ الأمثال للناس، لعلهم يتذكَّرون**﴾ (إبراهيم: 24-25). فقد استخرجنا هذا البحث «وظيفة الدين في الحياة، وحاجة الناس إليه» من استقراء النصوص الشرعية، والمبادىء الإسلامية، والقواعد الكلية، والأحكام الفقهية، وظهر لنا بالدليل والبرهان، والمنطق والعقل، والواقع والتجربة عظمة الوظيفة التي يؤديها الدين في الحياة بما ينسجم مع الفطرة البشرية، والتصور السليم عند الإنسان والكون والحياة وخالق الحياة، مما يقطع بحاجة الناس إليه على المستوى الفردي والجماعي.

وتتوالى الأيام والسنون، وتتعاقب الحوادث والأحداث لتزيد الأمر وضوحاً في «وظيفة الدين في الحياة» وتقدم الدليل بعد الدليل على «حاجة الناس إليه»، وأن العلم والحضارة والتقدم لا يحل محلَّ الدين، لأن العلم سلاح ذو حدين، وقد يستعمل للتدمير والفتك والإبادة إذا لم يلجمه الدين والأخلاق والقيم والرقابة الإلهية، ولذلك تتعالى الصيحات للعودة إلى الدين، والالتجاء إليه، والتفيؤ

بـظـلاله، والاستئنـاس بقيمه وأحكـامه، واستنشـاق عبيره وعـطره، ليهتـدي الضـال، ويؤوب الفاسق، ويستيقظ الغافل، ويستقر التائه، وينعم الجميع بما يحققه الإسلام من سعادة في الدنيا، وينتسبون إلى روضة الإسلام الفيحاء، كما برزت الحركات الفكرية والسياسيـة والاجتماعيـة المعاصرة تستعـين بالـدين، وتطالب بتطبيقه، ليمارس وظيفته، ويحلّ المشاكل والمآسي والصعوبات التي ترزح تحتها الشعوب التي أعرضت عن دين ربها، وحجرت على حرية التدين، فنالها الشقاء، واستشرت فيها الأمراض، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿**فمن اتّبع هُداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾ (طه: 123)، وقوله تعالى: ﴿**فمن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (البقرة: 38).

وقد رأينا آلاف الأفراد، والعديـد من المجتمعات تلوذ في السنـوات العشر الأخيرة بالدين، وتلجأ إلى حماه، لتتنوع الأدلة والبراهين على «وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ليكون ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ويتأكد لنا مصداق قوله تعالى: ﴿**ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة. . .**﴾.

وفي ذات الـوقت نشعر بـالحسرة من استمـرار بعض النـاس عـلى الغفلة والإعراض، ومن سوء الفهم والتطبيق أحياناً لحقائق الإسلام وجوهره ونظمه وأحكامه.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، فهماً وسلوكاً، لنتـذوق طعم الإسلام، وحلاوة الإيمان، وهذا لا يظهر بشكلٍ سليم إلا بعد الالتزام وحسن التطبيق، مرددين قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعُوه، ولا تتَّبِعُـوا السُّبُلَ فتفـرَّق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم بـه لعلكم تتقون**﴾ (الأنعام: 153) ﴿**قل: هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ (يوسف: 108)، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد الزحيلي
وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
بجامعة دمشق

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم.

والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسيد المرسلين، وخاتم الأنبياء، سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

ورضي الله تبارك وتعالى عن صحابة رسول الله، الغر الميامين، الذين آمنوا به ونصروه وعزروه، ثم حملوا مشعل النور والهداية، والتزموا منهج الله القويم، وحقّقوا خلافة الله في أرضه، فكانوا هداة مهديين، غير ضالّين، ولا مضلّين، فرضي الله عنهم وعن العلماء العاملين إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد خلق الله الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض، ولم

يخلقه عبثاً؛ ولم يتركه سدى، ولم يدعه فريسة لغواية الشيطان وضلاله ووسوسته التي بدأها في غواية آدم وحوّاء في الجنة، ثم هدّد بها في الدنيا، ولكن الله تعالى اصطفى الإنسان، وفضله على سائر الخلق، وسخر له ما في الكون، وتولاه بالهداية والرشاد وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأعلن له ذلك منذ اللحظات الأولى لاستقراره على الأرض، فقال تعالى: ﴿ قلنا: اهبطوا منها جميعاً، فإمَّا يأتينكم مني هدى، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة/٣٨ ـ ٣٩.

وقال تعالى في نفس المعنى: ﴿ قال: اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو، فإمَّا يأتينكم مني هدى، فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ طه/١٢٣ ـ ١٢٤.

وقال الله سبحانه وتعالى، مبيناً الحكمة من ابتعاث الرسل، وإنزال الكتب: ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد ﴾ إبراهيم/١.

وقال الله تعالى في وصف القران الكريم: ﴿ إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً. وأنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ الإسراء/٩ ـ ١٠.

ويلاحظ القارىء لهذه الآيات الكريمة، والمتأمل فيها، والمتدبر في معانيها أنَّها لم تقيّد بوقت معين، ولا بزمان خاص، وإنَّما جاءت مطلّقة عن التوقيت، وهذا يعني أنَّها صالحة لكل زمان ومكان، ولكن الجهل بالدين اليوم، والبعد عن أحكامه، وعدم الإيمان به، وتحرّك أعداء الله في الأرض ضد الدين، جعل هذه المفاهيم غامضة، وحُرِّف فيها، وغيّر في دلالاتها، وكادت أن تصبح غريبة حتى عند أهلها.

كما يلوح في الأفق الآن، ويدور في أذهان الناس، صورتان متقابلتان، ينشأ عنهما نتيجة خطيرة.

أمّا الصورة الأولى: فهي فكرة قاتمة عن الدين، وشبهات داكنة عن مبادئه وأحكامه، وتاريخ أسود عن بعض حقب الدهر، وهذه الصورة ليست من الحقيقة في شيء، وليست طبيعية، ولكنّها مصطنعة اصطناعاً، وتعلوها الرتوش الشيطانية، والهندسة الخيالية، وتحمل شارة الاستيراد من الخارج، وفوق كل ذلك فهي صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرفة، أو العصور المظلمة.

وأمّا الصورة الثانية فإنَّها صورة برّاقة لمّاعة، تتجلّى في التقدم العلمي ومعطيات الحضارة والإنتاج الصناعي الحديث والتقنية الفنيّة والمكتشفات العظيمة والاختراعات المتلاحقة والوسائل المتعددة؛ التي يسخرها الإنسان في حياته ومواصلاته، وتزيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات

الحياة، مما يخلب الأنظار، ويشغل الفكر، ويحجب كثيراً من البسطاء عن كشف الحقيقة، والتعمّق في النظرة، والبحث عن المتاعب والمشاكل والأمراض النفسية والعقلية والجسمية التي ترافق هذه الصورة، أمّا النتيجة التي يخرج بها كثير من الناس، وخاصة من الشباب والمثقّفين، فهي أنّ الدين «موضة» قديمة، وقد ولى زمانها، ولم يبق لها فائدة، وليس للإنسان حاجة إليها، ويمكن بسهولة ويسر الاستغناء عن الدين، بل يتطاول أكثرهم إلى وجوب الاستغناء عن الدين، وفصله عن الدولة، وإبعاده عن مجال الحياة، ويسرف بعضهم فيقول: إنَّ الدين والتدين ظاهرة سيئة، وعلامة على التخلّف، وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان، ويتبرع هؤلاء بتقديم البرهان والدليل على صحة ما يقولون بأنّهم أصبحوا في عصر العلم والمدنية والحضارة، وأنَّ العلم هو أساس كل شيء، ويحقق للإنسانية كل شيء، ويحل ـ بل يجب أن يُحَل ـ محل الدين.

وبياناً للحقيقة والواقع، وقياماً بالواجب والدعوة، ورداً على هذه التساؤلات والشبهات، بدأت بكتابة هذا البحث الموجز لبيان وظيفة الدين في الحياة، ومدى حاجة الناس إليه، وهل يمكن للعلم أن يحلّ محل الدين، ويحقق للبشرية آمالها وأحلامها؟.

وقبل البدء في العرض قدمتُ فصلاً عن مفهوم الدين الذي ننشده ونعنيه، ثم أتبعته بفصل آخر عن بواعث التديّن الفطرية

لمعرفة العلاقة بين الدين والفطرة، ولذلك جاء الكتاب في خمسة فصول، وهي:

الفصل الأول: مفهوم الدين.
الفصل الثاني: بواعث التدين الفطرية.
الفصل الثالث: وظيفة الدين في حياة الفرد.
الفصل الرابع: وظيفة الدين في حياة المجتمع.
الفصل الخامس: الدين والعلم.

أمّا الخاتمة فقد خصّصتها لبيان حاجة الناس إلى الدين، مع تلخيص النتائج التي وصل إليها البحث.

وقد سعيت في العرض أن أجمع بين الدراسة الفكرية النظرية الفلسفية العقلية، وبين الدراسة الشرعية التي تعتمد على الأدلّة الشرعية والبراهين النقلية من كتاب الله وسنة رسوله، كما حرصت على اقتباس أقوال بعض العلماء المعاصرين الذين بلغوا الذروة في اختصاصاتهم المتعددة.

أسأل الله العليَ القدير أن يسدد خطانا، وأن يوفقنا للعمل فيما يحبه ويرضاه، وأن يهدينا سبلنا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يجمع على الخير والحق شملنا، لنكون ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

الدكتور محمد الزحيلي
أستاذ مساعد في كلية الشريعة
بجامعة دمشق

دمشق
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

الفصل الأوّل

مَفهُوم الدِّين

نريد أن نبيِّن المفهوم الصحيح للدين، ونميّزه عن المفهوم الخاطىء الشائع بين الناس، لتكون دراستنا مبنية على الأساس السليم والمعنى الدقيق؛ ونقدّم لذلك بالتعريف اللغوي.

تعريف الدين لغة:

تتعدّد معاني الدين في اللغة، وأرى أنَّ هذه المعاني تنحصر في إيجاد علاقة بين طرفين، الطرف الأول يتمتع بالسلطان والقوة والملك والجبروت والحكم وحق القهر والمحاسبة والمكافأة والمجازاة، والطرف الثاني يقف في الجانب الأخر بالخضوع والطاعة والذل والاستكانة والعبادة والورع، والعلاقة بين الطرفين هي الدين أو المنهج والطريقة التي تحدد علاقة الأول بالثاني وبالعكس[1].

(١) أقرب الأمثلة لتوضيح هذه المعاني وبيان هذه العلاقة كلمة «الدَّيْن» فإنَّه =

وكلمة الدين لها أربعة معان، تدلّ على العلاقة السابقة التي أشرنا إليها[1]، وهي:

١ ـ القهر والسلطة والحكم والأمر والإكراه على الطاعة واستخدام القوة القاهرة فوقه، من دانه ديناً، أي ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره، وأذلّه واستعبده، وحاسبه وكافأه، فالفعل المتعدي بنفسه يمثل الطرف الأول الذي يتمتع بمعنى الملك والتصرف والحكم والقوّة والاستعلاء والسلطان والتدبير والعزّة.

٢ ـ الإطاعة والخدمة والعبودية والتسخر لأحد والائتمار بأمره، وقبول الذلّة والخضوع تحت غلبته وقهره، من دان له: أي أطاعه وخضع له أو ذلّ أو استكان أو عبد، فالفعل المتعدي باللام يمثّل الطرف الثاني المتّصف بالخضوع والطاعة بالاستكانة والعبادة، ويظهر الارتباط والتلازم بين المعنيين،

= يفهم منها فوراً علاقة بين طرفين، أحدهما دائن، وله حق المطالبة، والآخر مدين، وعليه التزام الدفع وواجب الأداء، الأول يطالب، والثاني مطالب، والمال المطلوب هو الدَّيْن، والقواعد التي يتبعها الدائن والمدين في الدفع والسداد والتوقيت هي الشريعة والقانون، والفرق بين الدِّين بالكسر والدَّيْن بالفتح أنَّ أحدهما يتضمّن في الأصل التزاماً مالياً، والآخر يقتضي التزاماً أدبياً، ومثل كلمة البيع فإنّها تدلّ على علاقة بين طرفين هما البائع والمشتري ومحل العلاقة هو المبيع ونظام البيع.

(١) انظر: القاموس المحيط: ٤/٢٢٥، المصباح المنير: ١/٢٧٩، مختار الصحاح: ٢١٨، الدين للدكتور محمد عبد الله دراز: ٢٦، النهاية، لابن الأثير: ٢/١٤٨، المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي: ١١٦.

فإن قلنا دانه فدان له: أي قهره على الطاعة فأطاع، وحكمه فخضع لحكمه.

٣ ـ الدين هو الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملّة والعادة والتقليد، من دان به، أو دان بالشيء: أي اتخذه ديناً ومذهباً، أي اعتقده أو اعتاده، ودان بالإسلام ديناً أي تعبد به وتديّن، وهو الدين أو الملّة، فالفعل المتعدي بالباء يمثّل الطريقة أو المذهب الذي يسير عليه المرء نظرياً وعملياً، وهو المنهج الذي يتّبعه في علاقته أو عبادته أو خضوعه إلى الحاكم والسيد والمالك.

٤ ـ الدين هو الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب، ومنه قول العرب: كما تدين تدان، أي كما تصنع يصنع بك، وقال تعالى حكاية عن الكفّار: ﴿ أإنّا لمدينون ﴾ الصافات /٥٣، أي هل نحن مجزيون ومحاسبون، ومن أسماء الله تعالى: «الديّان» أي الحاكم والقاضي، وقيل هو القهّار.

تعريف الدين اصطلاحاً:

تعرّض علماء الاجتماع والفلسفة والأديان إلى تعريف الدين، وكانت أنظارهم متفاوتة، واتجاهاتهم متباينة، ويغلب على أكثرهم الفهم الضيق للدين، والنظرة الظاهرية له، دون أن يتعمّقوا في المدلول الشامل الصحيح للدين، أو يلحظوا الآثار العملية له، ولذلك نلاحظ أنَّ كلاً منهم عرف الدين من وجهة نظره الخاصة، ونذكر هنا بعض تعريفات علماء الغرب

للدين، ثم نبيِّن الاستعمال الشائع الذي نتج عن موقف الغرب من الدين، لنصل إلى التعريف الصحيح للدين عند علماء المسلمين، ونخلص إلى بيان الخصائص والميزات التي تتّسم بها العقيدة الدينية.

أولاً ـ تعريف الدين عند الغربيين:

ظهرت تعريفات كثيرة للدين في الغرب، وكانت تنطلق كلها من نظرتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية وتاريخها في العصور الوسطى، وموقفها من الملوك والحكّام والإقطاع والرق والحروب والحجر على العلم والاكتشافات، ثم موقف الثورة الفرنسية وما تبعها من الكنيسة ورجال الدين والأفكار الدينية، ثم تبني العلمانية ومحاربة الدين وطرد رجال الدين الذين كانوا يمثلون السلطة الروحية والمادية العليا، ويوجهون السياسة والتشريع والقضاء في العهد السابق[1].

ومن خلال هذه الصورة ظهرت التعريفات المتباينة عن الدين، وهي تعريفات كثيرة جداً[2] نقتصر على ثلاثة نماذج منها:

١ ـ يقول جويوه في كتاب «لا دينية المستقبل»: «الديانة: هو تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية،

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية: ٢٢٨، الدين والحضاره الإنسانية، الدكتور محمد البهي: ١٠، الدين: ٨٢.

(٢) انظر هذه التعريفات في كتاب الدين، لدراز: ٢٩ وما بعدها.

والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركّزها الإنسان البدائي في الكون».

فهذا التعريف يمثّل النموذج الذي ينكر جوهر الدين في وجود الخالق المبدع، أو الإله المعبود، ويتّجه إلى الاستخفاف والاستهزاء والسخرية من الدين، وأنّه تصور مثالي للإنسانية، أو اختراع لمشيئات من العقل البدائي، ويتفق مع أوجست كونت الذي يرى أنّ العقلية الإنسانية مرّت بثلاثة أدوار، هي: دور الفلسفة الدينية، ثم دور الفلسفة التجريدية، ثم دور الفلسفة الواقعية، فجعل التفكير الديني يمثّل الحال البدائية التي تخلّت عنها البشرية، وتجاوزتها دون أن تعود إليها، وهذا ما ينادي به فرويد الذي يقسم حياة البشرية إلى ثلاث مراحل سيكولوجية: الأولى مرحلة الخرافة، والثانية مرحلة التدين، والثالثة والأخيرة هي مرحلة العلم[1].

٢ ـ يقول شلاير ماخر في «مقالات عن الديانة»: «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة».

وهذا تفسير نفسي محض، يصوّر النقص في الذات الإنسانية، وأنّها تتطلع إلى الكمال، ولذلك فإنّه يعرف جانباً بسيطاً من الدين، ولكنّه ينكر لوجود المعبود، ويتجاهل حقيقة الدين وأثره في النفوس والعقول، ووظيفته في التشريع والأخلاق.

---

(١) الدين: ٨٥، شبهات حول الإسلام: ٩.

٣ ـ يقول الأب شاتل في كتاب «قانون الإنسانية»: «الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه».

وهو أرقى تعريف للدين عند علماء الغرب، وهو يمثل طبيعة الدين النصراني بعد انحسار الكنيسة عن الحياة والسلطة، وتحديد مهمّتها في أماكن العبادة، وأنَّ وظيفتها تنحصر في صلة الإنسان بربّه من الناحية الروحية، وصلته بالمجتمع من الناحية الخلقية.

وهذه التعريفات الثلاثة تمثّل وجهات النظر الرئيسية للدين في الغرب، فالقسم الأول ينكر الدين والإله أصلاً، والقسم الثاني يلجأ إلى الدين عند الحاجة والضرورة، وفي حالات الضعف والمرض، والعجز وقصور العقل والنفس عن تعليل حوادث الكون، والقسم الثالث يفهم الدين من الناحية الروحية والخلقية، وهو أسمى مظهر للتديّن عندهم وهو ما يدفعنا لبيان المعنى الشائع عن الدين.

الاستعمال الشائع للدين:

ظهر في الغرب على ألسنة وأقلام المتديِّنين معنى خاص للدين، وهذا المعنى إمّا أن ينظر إليه من جهة الشخص المتديِّن، وإمَّا أن ينظر إليه كظاهرة اجتماعية، فقالوا:

«الدين هو الحالة النفسية والعقلية والوجدانية التي يتَّصف بها شخص معين، ونسميها التدين، أو هو مجموعة المبادىء

والقيم التي تدين بها أمّة أو جماعة اعتقاداً أو عملاً، وتظهر في كتب ومراجع وروايات، وتتمثل في عادات خارجية وآثار اجتماعية».

وأصبح المقصود بالتربية الدينيه عندهم تربية العواطف والمشاعر التي تبعث في نفس المتدين احترام الطقوس الدينية، والمشاركة في المناسبات الدينية، والاحترام لرجال الدين وشعائره والتردّد على أماكن العبادة، والتبرّع بشيء من المال، والقيام ببعض الحركات والمظاهر، والنطق ببعض الألفاظ والعبارات، ومن يفعل ذلك فهو المتديِّن العظيم، والتقيّ الصالح، والورع المقرّب، دون أن تتصل هذه الصفات بحياته وأعماله وقوانينه.

.وهذا الاستعمال الشائع يظهر على ألسنة من يدّعي التديّن، ويستخدمه أعداء الدين لتقييد مجال الدين وتحديد مفهومه، والدافع إلى تناوله بالذكر أنه تسرّب إلى وطننا، وانتشر بين أبناء أمّتنا، واستخدم سلاحاً في وجه الدعوة والدعاة، وتستمر المحاولات الحثيثة لفرضه على الإسلام والمسلمين معاً.

وإذا كان هذا الاستعمال صحيحاً وصادقاً على الدين المسيحي في الغرب، وقد يتّفق مع النصرانية التي تفقد التشريع والنظام في أصولها، فإنَّ الخطأ فيه يظهر من ناحيتين:

١ ـ محاولة تعميم هذا الاستعمال الخاص على الدين بمعناه العام، وأنَّه شامل لجميع الأديان السماوية والديانات الأرضية، مع الاختلاف الواسع بين هذه الديانات، والبون الشاسع بين حدود كل منها.

٢ ـ التعمّد في نقل واستيراد هذا المفهوم لتطبيقه على أمّتنا وأبناء جلدتنا، وفرضه على ديننا الحنيف، والسعي بجد ونشاط على إرغام الإسلام على ارتداء هذا اللباس الضيق القصير، ليبقى الدين في إطار المسجد، وفي حدود الأخلاق، وفي منطقة الشعور والوجدان والضمير، دون أن يكون له أثر في الحياة، أو تطلّع إلى الأمام، أو مشاركة في التشريع.

تعريف الدين عند علماء المسلمين:

اشتهر على لسان علماء المسلمين تعريف الدين بأنَّه:

«وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»، ويقولون في تعريف آخر:

«وضع إلهي، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل».

ويصرح التعريف الإسلامي بثلاثة أمور جوهرية، وهي:

١ ـ أنَّ الدين وضع إلهي، وليس من إيحاء النفس، أو تخيّل العقل، أو تنظيم الإنسان، فالله سبحانه وتعالى أنزل الدين الحنيف، وأوحى بمبادئه وتعاليمه وقيمه، تحقيقاً لقوله

تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإمّا يأتينكم منى هدى، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ البقرة/٣٨، وأنَّ الله سبحانه الذي خلق الإنسان واختاره خليفة في الأرض لم يخلقه عبثاً، ولم يتركه سدى.

٢ ـ أنَّ التعريف ينص على أنَّ الدين عقيدة وشريعة، أو عقيدة ونظام في الحياة، فهو ليس مجرّد اعتقاد، بل هو الاعتقاد الحق، والإيمان الصحيح الذي لا يشوبه شيء، وهو ليس مجرد شريعة ونظام فحسب، بل هو نظام ربّاني، وشريعة إلهية لضمان الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

٣ ـ بيان الربط بين العقيدة والعقل، وأنَّ الدين متّفق تماماً مع العقل السليم، وأنَّه لا منافاة ولا مناقضة بين الدين والعقل، خلافاً لكثير من علماء الاجتماع والفلسفة والأديان الذين يتعمدون الفصل بين الدين والعقل، أو الدين والعلم، وأنَّ الدين محصور بالأمور الغيبية، أو بما وراء الطبيعة، وأنَّه لا شأن للدين والعقيدة في نطاق الحياة، ومجال المادة، والعلوم التجريبية، فالدين الإسلامي على العكس من هذا تماماً من الناحيتين النظرية والعملية أو العلمية والتاريخية.

المفهوم الصحيح للدين:

وهنا نصل إلى المفهوم الصحيح للدين الذي استعمله القرآن الكريم، بالإضافة لاستعماله للدين بالمعاني اللغوية السابقة، فالقرآن الكريم استعمل الدين بمعنى عام شامل

جامع، ويريد به النظام الكامل، نظام الحياة الذي يذعن فيه المرء لسلطة عليا، ثم يقبل إطاعته واتباعه، ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه، ويرجو في طاعته العزّ والفوز بالدرجات العليا وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذلّة والخزي وسوء العقاب[1].

وقد وردت آيات كثيرة تستعمل كلمة الدين بها المعنى العام الكامل الشامل لجميع نواحي الحياة الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية، نذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرِّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا **يدينون دين الحق**، من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ التوبة/ ٢٩.

وقال تعالى: ﴿ وقال فرعون: ذروني أقتل موسى، وليدع ربّه، إني أخاف أن **يبدل دينكم**، أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ غافر/ ٢٦.

وقال تعالى: ﴿ **إنَّ الدين عند الله الإسلام** ﴾ آل عمران/ ١٩.

وقال تعالى: ﴿ ومن يبتغ **غير الإسلام ديناً** فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران/ ٨٥.

---

(١) المصطلحات الأربعة في القرآن: ١٢٦.